

بين يدي الكتاب

هذه هي الطبعة الثانية من كتاب مصر العثمانية، وهو مخطوط كتب عام ١٩١١م ولم ير للنور كتابا إلا على يدينا عندما قمنا بتحقيقه ونشره في دار الهلال، سلسلة كتاب الهلال، العدد ٥١٧ - رجب - يناير - ١٩٩٤.

وفي النشر الأول لهذا المخطوط، وقعت من المطبعة أخطاء كثيرة وواضحة، تداركناها في هذه الطبعة، ورأينا هنا، كما رأينا في الطبعة الأولى الاستغناء عن الصور التي وضعها المؤلف في مخطوطه لأنه صورها من كتب مطبوعة له هي تاريخ التمدن الإسلامي وتاريخ مصر الحديث، وهو في المخطوط لا تكاد تبين.

والجديد في هذه الطبعة:

١- كتابة مقدمة علمية، ومراجعتها وحواشيها عن المؤلف ومنهجه، وعن المتن.

٢- تنقيح المتن وتصليح كل الأخطاء المطبعية التي حدثت في الطبعة الأولى.

٣- كتابة حواشي علمية على المتن أسهمت في فهم للنص، وقدمت هذه الحواشي نقدا، وتصحيحا لمسائل تاريخية، وإيراد التواريخ للميلادية لأن المؤلف لم يستخدم في المتن غير التاريخ الهجري. ومقارنات بين ما كتبه المؤلف وما كتبه المؤرخون الآخرون في مسائل معينة، كما قدمت الحواشي إيضاحات لمسائل كانت مغلقة في المتن.

وقصة هذا الكتاب " مصر العثمانية " أنه بعد إنشاء الجامعة التي نادى الهلال بقيامها في عدد فبراير ١٨٩٦، عرض على جرجى زيدان تدريس مادة التاريخ الإسلامى فيها، فأعد كتاب مصر العثمانية لهذا الغرض. لكن هذا الأمر لم يتم. وفي المقدمة تفصيل ذلك.

الغريب أن عهدت جامعة عين شمس للهاخام اليهودى الأكبر حايم نعوم أن يدرس لنا أثناء تلمذتنا في كلية الآداب جامعة عين شمس قسم اللغات الشرقية، مادة "تاريخ العثمانيين" عام ١٩٦٠م، ولم يتم هذا الأمر لمرض الهاخام. هكذا حدثنا الدكتور إبراهيم أمين الشواربى، رئيس القسم، عليه رحمة الله.

محمد حرب

مقدمة

جرجى زيدان: سيرة ثقافية :

جرجى حبيب زيدان، عربي من لبنان وأقام بمصر ، مسيحي أرثوذكسي، من رواد حركة للتوير العربية، المعتمدة على اللحاق بالنهضة الأوربية. ولد في بيروت يوم ٢٤/١١/١٨٦١. جمع جرجى زيدان في شخصه عدة جبهات هدفت كلها إلى تحقيق اشتراكه في حركة للتوير، فهو صحفي وكاتب وروائي ورحالة ومفكر ومبدع.

تتلذذ في بداية حياته على يد القسيس المعلم إلياس الذي لم يكن يحسن القراءة في الإنجيل . لكنه كان يدير مدرسة أشبه بكتاتيب القرن التاسع عشر الميلادي. وهذه المدرسة عبارة عن قبو واسع، وكانت طريقة القس إلياس تعتمد في تعليم جرجى وزملائه، على تسميع المزامير. كما كانت تعتمد على طرق العقاب للشانعة في نسي ذلك العهد: الفلقة، وكانت عقابا لمن يستوجب العقاب من التلاميذ.

هذه مدرسة جرجى زيدان الأولى، ومنها صار يقرأ المزامير جيدا، لكنه لم يكن يفهم ما يقرأه. وقد أثرت هذه المدرسة الدينية الأولى على توجهات جرجى مستقبلا حين تمكن من الميدان الثقافي العربي العام، فصار يكتب ما يفهمه للقارئ العادي والمتوسط والمتقف. يبسط التاريخ واللغة والفن بشكل يقبله الآخرون، ويسرى فيهم في هدوء، لفظا ومعنى وأسلوبا، وكأنه يكتب لكي يفهم الجميع^(١).

قام حبيب زيدان والد جرجى، بنقله بعد ذلك إلى مدرسة للشوالم، وهي مدرسة مسيحية أيضا. كان يديرها بعض للشوالم المسيحيين المتقنين. وتعلم جرجى في هذه المدرسة مبادئ الحساب والنحو^(٢).

انتقل جرجى بعد ذلك إلى مدرسة للمعلم ظاهر، ودرس فيها جرجى سنتين، بلغ بعدها أحد عشر عاما.

ثم جرجى في هاتين المدرستين : للشوالم والمعلم ظاهر، سنت سنوات من عام ١٨٦٦م إلى سنة ١٨٧٢م. ثم بدأ يعمل مع والده في مطعمه. والتحق جرجى وهو يعمل مع والده في هذا المطعم، بدراسة مساقية لتعلم اللغة الإنجليزية. وكان

والده يخشى عليه من التعليم خوفاً - في رأيه - من أن التعليم يمكن أن يجعل ابنه جرجي " متفرنجا يأكل بالشوكة والسكين، وربما حدثته نفسه أن يلبس الزي الأوربي ".^(٣)

تمكن جرجي زيدان من تعلم اللغة الإنجليزية في مدرسة المعلم مسعود الطويل. وكان جرجي في الخامسة عشر من عمره. وتقول الكتب التي تتحدث عن سيرة جرجي أنه تمكن من اللغة الإنجليزية في خمسة أشهر، استطاع بعدها أن يشتغل بوضع قاموس إنجليزي - عربي ، بلغ فيه حتى حرف " E " من الحروف الهجائية الإنجليزية. وفي هذا دلالة على استعداد لغزارة الإنتاج التي عرف بها بعد أن مارس الكتابة، وإجابة قد تكون رداً على المتسائلين عن تعدد جوانبه الثقافية التي عرفه بها عالم الثقافة فيما بعد^(٤).

في عام ١٨٨١م، التحق جرجي زيدان بالمدرسة الكلية وهي المدرسة الأمريكية البروتستانتية. لكنه طُرد منها لاشتراكه في مظاهرة طلابية. لكنه استفاد من المواد الدراسية في هذه الكلية من العلوم الطبية فقد حصل على دبلوم الصيدلة^(٥).
سافر جرجي زيدان، بعد ذلك إلى القاهرة عام ١٨٨٣ ليلتحق بمدرسة طب القصر العيني لكنه اضطر لظروفه المادية الصعبة من ناحية، ولأن دراسة الطب بها كانت تحتاج إلى سنوات طويلة. واهتم جرجي بعد ذلك مباشرة بالأدب والتاريخ واللغة العربية، فالتحق عام ١٨٨٤م بجريدة " الزمان " القاهرية. وكان من أسباب تركه بيروت وسفره إلى مصر، حنقه على الأتراك وعلى الدولة العثمانية^(٦).
وكان وصول جرجي إلى الإسكندرية عقب تدمير الإنجليز لمصر أي عقب الاحتلال البريطاني للقطر المصري عام ١٨٨٢م.

وكان لهذا أثره الثقافي والفكري فيه. لكن أثناء عمل جرجي في جريدة الزمان، قرر الإنجليز إرسال حملة إلى السودان لإنقاذ كوردون باشا الإنجليزي من الحركة القومية السودانية وثورة المهدي وأتباعه الذين وصفهم جرجي زيدان بالعصاة والأعداء!!^(٧)

وكان رئيس هذه الحملة هو اللورد ولسلي، وكان تعدادها سبعة آلاف جندي أكثر قوادها من طبقة الأشراف والنبلاء الإنجليز. وقد اختير جرجي زيدان مرافقا لهذه الحملة ضمن جهاز المخابرات البريطانية. وكان ذلك عام ١٨٨٤م.

ولما عادت الحملة البريطانية من السودان بعد عشرة أشهر من سفرها. عاد معها جرجى فكافأته سلطات الاحتلال الإنجليزي بمصر بمنحه الميدالية الإنجليزية وميداليتين أخريين^(٨).

عاد جرجى زيدان بعد تلك إلى موطنه عام ١٨٨٥، ولم يستطع المؤرخون لجرجى زيدان معرفة أهداف جرجى من هذه الرحلة^(٩).

في عام ١٨٨٥م اختير جرجى زيدان عضوا بالمجمع العلمي الشرقي. ولم يكن قد مضى على إنشائه حينها ثلاث سنوات، والذي أنشأه أعلام عرب كبار مثل الدكتور يعقوب صروف وللدكتور فارس نمر والمستشرق فاندريك، ومن أعضائه أيضا الشيخ إبراهيم اليازجي وإبراهيم الحوراني وسليم بطرس البستاني. وقد تعلم جرجى لكي يتزود لعضوية المجمع بتعلم بعض اللغات الشرقية: العبرية والسريانية بالدرجة الأولى، وبالتالي أصبح جرجى يجيد اللغات الأساس: من اللغات الشرقية العربية والعبرية ومن اللغات الأوربية الإنجليزية والفرنسية^(١٠).

نشر جرجى زيدان أول كتاب له ، وهو كتاب الألفاظ العربية والفلسفية اللغوية (بيروت ١٨٨٦م) وفي صيف إصدار هذا الكتاب سافر إلى إنجلترا وفرنسا وسويسرا، وكان في الخامسة والعشرين من عمره. وفي عام ١٩٠٨، سافر إلى استانبول بعد أن استقرت أحوال للدولة العثمانية عقب الانقلاب العثماني، وهو انقلاب ضباط الاتحاد والترقي عام ١٩٠٨ الذي أطاحوا فيه بحكم السلطان عبد الحميد وأعلنوا فيه الدستور. وزار أيضا عام ١٩١٠ سوريا ولبنان وتمخض عن هذه الزيارة، مقال في السنة التاسعة عشرة من مجلة الهلال ينصح فيها جماعة المتشاكمين للعرب بعدم إساءة الظن بالحكومة للمستورية الجديدة أي حكومة لضباط الأحرار الانقلابيين (الاتحاديين) في استانبول، ونصح العرب بأن يصبروا على وعود هذه الحكومة بالإصلاح حتى تتمكن من تحقيق ما وعدت به^(١١).

لما في عام ١٩١٢ فقد شد جرجى للرحال إلى أوروبا في زيارة طويلة نتج عنها كتاب نشرته دار الهلال بعنوان "رحلة جرجى زيدان إلى أوروبا عام ١٩١٢" من منشورات دار الهلال عام ١٩٢٣، وكان هذا للنشر بعد تسع سنوات من وفاة صاحب الهلال. وكنت رحلته التتويرية هذه تستهدف نقل: " ما يهم القارئ الشرقي من حيث

حاجته إلى تحدي مدينة أولئك القوم في نهضته هذه ولبين ما يحسن أو يقبح من عوامل تلك المدينة بالنظر إلى طباعتنا وعاداتنا وأخلاقنا^(١٢).

لقد تشكل فقه التنوير في مفهوم جرجى زيدان في البدء، من كل من:

١- ما حصله جرجى من البعثات الدينية للتصيرية خاصة الأمريكية في بيروت ، من ثقافة غربية ومنهج غربي في طرق التفكير.

٢- ما استفاد منه جرجى في زيارته لأوروبا، خاصة أنه وجد الفرصة هناك لدراسة الاستمراق الأوربي في الجلترا بالذات.

٣- دراسته للشرق: تاريخا ومجتمعا، ثقافة وتفكيراً.

عمل جرجى بعد عودته من أوروبا المرة الأولى وبالتحديد أوائل عام

١٨٨٨م في جريدة المقطف، وبعدها عمل سنتين مديراً للمدرسة العبيدية، وهي مدرسة خاصة بطائفة الروم الأرثوذكس، لكنه بدأ في عام ١٨٩٢م في إصدار مجلة الهلال، والتي نشر فيها مقالاته وظل يعمل بها حتى نهاية حياته.

كان للسلطان عبد الحميد الثاني ، موقفه الواضح من جرجى زيدان ، بسبب فكرة التنوير الغربي من ناحية، وبسبب تأييده للحركات المناهضة للسلطان عبد الحميد ومنها تأييده لجماعة تركيا الفتاة والاتحاد والترقي. لذلك كان جرجى زيدان ممنوعاً من دخول الأراضي العثمانية. لكن عندما نجحت حركة تركيا الفتاة في الإطاحة بحكم السلطان عبد الحميد، وتولت حكومة الاتحاد والترقي الحكم، استطاع جرجى دخول استانبول وأن يلتقي هناك مع النوار الأحرار الذين قادوا الانقلاب. وكتب عن هذه الرحلة الهامة كتابات لها أهميتها التاريخية والفكرية والتربوية والتنويرية.

كما كتب جرجى زيدان مقالات في الهلال على مدار اثنين وعشرين عاماً.

وله مقالات كثيرة جداً. وما يقرب من أربعين كتاباً.

وقد كتب جرجى زيدان في الميادين التالية:

١- التاريخ.

٢- اللغة والأدب.

٣- الاجتماع.

٤- الروايات التاريخية.

جرجي زيدان والغرب

برز جرجي زيدان كأول مؤلف عربي لموضوعين لم يكتب فيهما بالعربية أحد من قبله وهما:

١- كتاب الفلسفة للغوية والألفاظ العربية، عام ١٨٨٦م.

٢- كتاب تاريخ الماسونية العلم، عام ١٨٨٩م.

وارتبط جرجي زيدان بالفكر الغربي عن الطرق الآتية:

١- الكلية الأمريكية في بيروت.

٢- زيارته للمستشرقين في أوروبا عبر رحلاته إليها.

٣- زيارات المستشرقين له في القاهرة.

٤- صحبته لمجموعة المخابرات البريطانية أثناء حملة إنقاذ كوردون باشا في السودان.

٥- معرفته باللغات الأوروبية وإطلاعه بها.

وبالتالي عرف جرجي زيدان مناهج المؤلفين والباحثين الأوربيين. ومن هنا أيضا جاء حرص جرجي زيدان على سهولة الأسلوب وذكر المراجع والمصادر، حتى في رواياته.

فقد جرجي زيدان أيضا من كثرة تناوله للمصادر الغربية التي كتبها الغربيون، فقد أفاد منهم للعقلية والتنظيمية في التأليف وتسلسل الموضوعات، والترتيب الدقيق، وجمع الأشباه والنظائر والوصول منها إلى استنتاج عام. و" يتجلى كل ذلك بوضوح في كتابيه " تاريخ التمدن الإسلامي" و" تاريخ آداب اللغة العربية". ويلاحظ هذا التنظيم من مجرد إلقاء نظرة على أبواب كتاب تاريخ التمدن الإسلامي، ففي بحثه عن الجند الإسلامي تأتي هذه المسائل متعاقبة في فصول متوالية من الكتاب: الجند وتوابعه، جند الروم، جند العرب، تنظيم جند العرب، جند الأعاجم في الإسلام، ديوان الجند، أعطيات الجند، عدد الجنود، اللواء والرية.

فقد جرجي زيدان للكتابات الغربية في تاريخه للأدب العربي، وفي طريقة التأليف عن حضارة العرب والإسلام. كما كان إطلاع جرجي على الكتابات التاريخية باللغات الأوروبية أيضا أثره في موقفه من التاريخ العثماني.

ولدراسة التأثير الغربى على جرجى زيدان، ينبغى دراسة جوستاف لوبون صاحب كتاب حضارة العرب، الذى ألفه عام ١٨٨٤ والمؤرخ سيديو، وفون كريمو، وجولد تمبير. وينبغى أن يدقق الباحث العربى فى موقف هؤلاء بالذات من العرب ومن للمسلمين والإسلام.

رؤية محرم جلبى لجرجى زيدان

هذه رؤية تركية لأكاديمى تركى هو البروفيسور محرم جلبى. أمامنا رؤية غربيين وعرب لجرجى زيدان، لكننا - كما أتصور - فى حاجة إلى رؤية تركية هي: (جرجى زيدان أحد أعمدة التيار الجديد فى كتابة الأبيات العربية. إنه صحفى بارز لكنه قدم دراسات فى التاريخ واللغات للمامية وللدراسات اللغوية المقارنة. وكان يهجم فى كل كتاباته، النهج الغربى. تأثير المستشرقين على جرجى زيدان واضح، خاصة فى وجهة نظرهم المعارضة للإسلام. أنه رائد عربى فى مجال الثقافة. ورد فى طريقه مورد الثقافة الأوربية. ونهل منها مستفيدا فى ذلك من مدارس الإرساليات الأجنبية. وهذه المدارس عبارة عن مراكز أعدت خصيصا لمن أتجه وفى اتجاهه نحو ثقافة الغرب، ونعنى بالذات الجامعة الأمريكية البروتستانتية فى بيروت والتي كانت تسمى وقتها بالمدرسة الأمريكية " أمريكان كوليج".

لقد كان هدف جرجى زيدان أن يطرح الثقافة الغربية أمام أبناء جنسه من العرب فى سبيل ضمان قيام لهضة ثقافية فى البلاد العربية دينها النهج الغربى. ولقد قدم جرجى زيدان دراسات عن تاريخ الإسلام وتاريخ العرب، لكنه لم يقدمها ككتاب عربى عادى. وإنما مستفيدا من مناهج المستشرقين. وكان زيدان نالقا للكتابات فى تاريخ الإسلام لأنها - فى رأيه - كانت تكتفى بنقل الأحداث فقط، ولم تبحث هذه الكتابات وأصحابها فى الأسباب التي ترقد تحت الأحداث لتسورها.

وباتصال جرجى زيدان بالمنهج الغربى فى المعرفة، أصبح يرى أن التاريخ الحقيقى لأمة من الأمم ليس هو تاريخ الحروب والفتوحات، وإنما تاريخ الثقافة والمدنية والحضرة. لقد حرص زيدان أن تفقد الكتب التاريخية التقليدية اعتبارها فى نظر المثقفين العرب والمسلمين، لذلك كان حريصا وهو يقدم التاريخ الإسلامى بالدراسة أن ينحى بالدين إلى المرتبة الثانية من الأهمية، عاملا فى نفس الوقت على

إعلاء شأن العلم والحضارة ويضعهما في المقام الأول في منهج التناول. لذلك أظهر زيدان اهتماما بالإسرائيليات التي رفضها المؤرخون للمسلمون، ورأي أنها إنما تكمل حلقة المصادر التي بين أيدينا. ولذلك يبدو لنا أن جرجى زيدان يخطئ في تقويمه لتاريخ الإسلام. ويرجع هذا - في رأينا- إلى عدم دقته التي تسود للكثير من كتاباته، ونرى أن لعدم اهتمامه بعنصر الدين تأثيره في هذا. ولقد بذل جرجى زيدان جهدا واضحا في محاولته نقل منهجه في التاريخ إلى الشعوب العربية، عن طريق إصدارات مجموعة الروايات التاريخية التي تناولت تاريخ الإسلام. وهذا ما نراه أيضا في كتابه تاريخ التمدن الإسلامي الذي لم يرجع فيه نجاح للعرب في ميادين الثقافة والعلوم إلى التاريخ الديني بل إلى تاريخ التساند الاجتماعي للديني. وهو دائب البحث في تأثير الثقافة اليهودية والثقافة للمسيحية، في أساس الإسلام.

دافع زيدان -كمسيحي- عن ضرورة أن يكون العلم عنصرا مؤثرا في فلسفة التاريخ وفي المجتمعات للمدنية، وأعطى أهمية للتاريخ المشترك واللغة - وليس للدين- في إثبات هوية الشعور القومي بين العرب.

ويرى زيدان أن اللغة العربية هي السند الأعظم للشخصية العربية، وأن العرب قد أوصلوا لغتهم العربية إلى كل الأماكن التي فتحوها. ويقول جرجى زيدان بقومية عربية مركزها سوريا ومصر. ويقول أن ليس هناك حدود طبيعية بين مصر وسوريا، وهما مركز الحضارة وأن كلا منهما يكون مع الأخرى، منطقة واحدة منذ ما قبل الإسلام. ونظرة جرجى زيدان إلى القرآن أن أهميته بسبب دوره في حملوة اللغة العربية. ولما كان هدف زيدان هو الوصول إلى الحضارة الغربية، فقد حرص على عدم إحداث ضرر بالشخصية العربية لأنها- في رأيه- للمعبر إلى هذه الحضارة.

على ذلك أرسى جرجى زيدان أساس قومية عربية لا تعتمد على الدين، لكنه لم يستطع أن يحيل هذا إلى برنامج.

لقد أيد جرجى زيدان حركة المشروطية للعثمانية، ودافع عن الاتحاد والترقي، وكان مؤيدا للحاكمية العثمانية، وازداد تأييده هذا بعد (انقلاب الاتحاد والترقي) عام ١٩٠٨م. جرجى زيدان كان قلقا من إمكان زيادة النفوذ الأوربي إذا نهارت الدولة العثمانية. لذلك كان يرى أن للمشروطية التي أعلنها للجيش علم

١٩٠٨، يمكن أن تقف حائلاً أمام آمال الغربيين السياسية. كما كان زيدان ضد طلب العرب للمزيد من الحقوق السياسية في الدولة العثمانية. ونفى جرجى زيدان عن العثمانيين تهمة التتريك ولأيد أن العرب يحيون ثقافتهم - وهم في العهد العثماني - في حرية تامة^(١٣).

جرجى زيدان في اللغات الشرقية:

اهتم الشرقيون بجرجى زيدان وعلى الأخص الأتراك والإيرانيون. لقد ظهرت ترجمة تاريخ للتمدن الإسلامى باللغة التركية العثمانية بعنوان "مدنيت إسلاميه تاريخي" في استانبول. في خمسة أجزاء بين عامي ١٨٢٧ - ١٣٣٠. قام بها زكى مغامر. كما تتضح صورة جرجى زيدان في اهتمام الأتراك المحدثين به، ذلك التقدير البين الذي ذكره الكاتب المؤرخ التركي المعلم جودت^(١٤) وكذلك سليمان ضاغ فى مقدمته لكتاب ISLAM TARHI لمحمود أسعد الصادر في استانبول عام ١٩٨١م.

إلا أنه من الجدير بالاهتمام ذلك الاهتمام الواضح الذي قابل به الشرقيون روايات جرجى زيدان التاريخية: الإيرانيون والأتراك الأتريون، والأتراك من العثمانيين، والأتراك في تركيا الجمهورية. ومن الثابت التالي يتضح مدى هذا الاهتمام. والذي أورده محرم جلبي في مقاله جرجى زيدان بدائرة معارف الإسلامية -وقف الديانة التركية.

- ١- فتاة عسان : ترجمها إلى الفارسية عبد الحسين ميراز بن مؤيد الدولة فى جزئين بعنوان "خاتم شامي" طهران، ١٣٣٠.
- ٢- فتاة عسان، ترجمها إلى التركية الحديثة كل من أحمد بويوك جينار وكريم أي تكين، استانبول، عام ١٩٧٢ بعنوان GASSANLI HINT .
- ٣- أرمانوسه المصرية، ترجمها إلى الفارسية عبد الحسين ميرزا، أيضاً، بعنوان أرمانوس مصري، طهران، ١٣٢٢.
- ٤- أرمانوسة المصرية، ترجمها إلى الفارسية جعفر قازيان بعنوان أرمانوسة مصرية، طهران، بدون تاريخ.
- ٥- عذراء قریش، ترجمها إلى اللغة التركية الأتريه مير محمد كريم الحاج مير جعفر زاده، باكو، أنزيبجان، ١٩٠٨/١٣٢٥.
- ٦- عذراء قریش، ترجمها إلى الفارسية محمد على شورلزي، طهران، ١٣٣٧.

- ٧- ١٧ رمضان، ترجمها إلى اللغة التركية الأثرية مير محمد كريم، باكو،
أذربيجان، ١٣٢٨/١٩١٠.
- ٨- غادة كربلاء، ترجمها إلى الفارسية عبد الحسين ميرزا بعنوان عروس كربلاء،
طهران، بدون تاريخ.
- ٩- الحجاج بن يوسف، ترجمت إلى الفارسية بنفس الاسم، طهران ، بدون تاريخ.
- ١٠- فتح الأندلس ، ترجمها إلى الفارسية إبراهيم نشأت بعنوان فتح أندلس، طهران
١٣٢٣.
- ١١- شارل وعبد الرحمن، ترجمها إلى الفارسية بنفس العنوان عبد الرحيم خلخالي،
طهران، ١٣٣٣.
- ١٢- شارل وعبد الرحمن، ترجمها إلى الفارسية أيضا بنفس العنوان محمد على
شيرازي، طهران ١٣٣٨.
- ١٣- أبو مسلم الخراساني، ترجمها إلى اللغة التركية العثمانية زكي مغامر بعنوان
أبو مسلم خراساني، استانبول ١٣٣ روميه.
- ١٤- أبو مسلم الخراساني، ترجمها إلى الفارسية حبيب الله آموزگار، طهران
١٣١٨.
- ١٥- أبو مسلم الخراساني، ترجمها إلى الفارسية ليضاركن للدين همايون فسروح،
طهران ١٣٢٣.
- ١٦- أبو مسلم الخراساني، ترجمها إلى الفارسية ميرزا بن مؤيد الدولة، طهران
١٣٣٣-١٣٣٤.
- ١٧- أبو مسلم الخراساني، ترجمها إلى الفارسية محمد على شيرازي، طهران
١٣٣٩.
- ١٨- العباسية، ترجمها إلى التركية العثمانية حسن بدر للدين، استانبول ١٣٣٩ رومية
١٣٤٢هـ.
- ١٩- العباسية، ترجمها إلى الفارسية / ميرزا إبراهيم قمي، طهران، بدون تاريخ.
- ٢٠- العباسية، ترجمها إلى الفارسية محمد على شيرازي، طهران، ١٣٣٢.
- ٢١- العباسية، ترجمها إلى الفارسية، محمد تقي شريعتي مزيناني، مشهد ١٣٣٤.

٢٢- الأمين والمأمون، ترجمها إلى الفارسية بنفس العنوان عبد الحميد اشناق خاوري، طهران ١٣١٠.

٢٣- الأمين والمأمون، ترجمها إلى الفارسية محمد على شيرازي، طهران، بدون تاريخ.

٢٤- الأمين والمأمون، ترجمها إلى الفارسية على أصغر حكمت، طهران ، بدون تاريخ.

٢٥- عروس فرغانة، ترجمها إلى التركية العثمانية بعنوان "جهان خاتون فرغانه كوزلي، استانبول ١٩٢٧.

٢٦- عروس فرغانة، ترجمها إلى الفارسية أمير قولى أميني، أصفهان ١٣٣٤.

٢٧- عروس فرغانة، ترجمها إلى الفارسية محمد على شيرازي، طهران، ١٩٥٤م.

٢٨- أحمد بن طولون، ترجمها إلى الفارسية مير سيد جعفر، طهران، ١٣٢٨-١٣٣٩.

٢٩- أحمد بن طولون، ترجمها إلى الفارسية محمد على شيرازي، طهران، ١٣٤٤.

٣٠- عبد الرحمن الناصر، ترجمها إلى الفارسية أمير قولى أميني، أصفهان ١٣١١.

٣١- الانقلاب للعثماني، ترجمها إلى التركية الأتزية، على عباس بعنوان عثمانلي انقلابي، باكو، ١٣٣٢.

٣٢- الانقلاب للعثماني، ترجمها إلى الفارسية على أكبر قوم، استانبول ١٣٢٩.

٣٣- الانقلاب للعثماني، ترجمها إلى الفارسية ، محمد على شيرازي، طهران، ١٣٣٦-١٣٤٣.

٣٤- صلاح الدين ومكائد الحشاشين، ترجمها إلى التركية العثمانية، زكي مغازم، بعنوان صلاح الدين أيوبي واسماعيلير، استانبول ١٩٢٧.

٣٥- صلاح الدين ومكائد الحشاشين، ترجمها إلى الفارسية محمد على شيرازي بعنوان صلاح الدين أيوبي واسماعيليان، طهران، ١٣٣٤.

٣٦- صلاح الدين ومكائد الحشاشين، ترجمها إلى الفارسية، مجتبي مينووي، بعنوان، صلاح الدين أيوبي واسماعيليان، طهران ١٣٠٤.

٣٧- شجرة الدر، ترجمها إلى الفارسية حبيب الله آموزكار بعنوان "مليكه اسلام"، طهران ١٢٩٨.

- ٣٨- أسير المهدي، ترجمت إلى الفارسية، طهران، بدون تاريخ.
 ٣٩- جهاد المحبين، ترجمت إلى الفارسية، طهران، بدون تاريخ.
 ٤٠- استبداد المماليك، ترجمت إلى الفارسية، طهران، بدون تاريخ.

جرجى زيدان وتاريخ مصر الحديث

حاول جرجى زيدان أن يجعل لنفسه منهجا تاريخيا يتفرد به بين كتاب التاريخ في مصر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وقد شرح هذا المنهج في مقدمة كتاب "تاريخ مصر الحديث" عام ١٣٠٦هـ - ١٨٨٩م.

إن أسباب تأليف هذا للتاريخ من وجهة نظر زيدان عديدة، ولعل أهمها أن مصر من أقدم الممالك تمدنا وأكثرها حوادث وطوارئ ومحنا؛ فهي الأجدر بتدوين تاريخها ليكون عبرة للذين يعتبرون، كما أن تاريخها بعد الفتح الإسلامي أكثر ارتباطا بحالتها الحاضرة من تاريخها قبله، مما يجعله أكثر فائدة وأحوج إلى التدوين^(١٥).

ويقرر زيدان بلهجة الأسف أنه لم ير بين المؤرخين الذين كتبوا في تاريخ مصر الحديث، من جاء على كتابة مستوفية تتعاقب فيها الحوادث بتعاقب السنين مع علاقة كل بذلك بعموم الدولة الإسلامية وسائر الدول المعاصرة. ويشرح طريقة التأريخ لدى المؤرخين الآخرين قبله بقوله: "فبين مؤرخي المشرق ولاسيما للعرب من أسهب في الكلام عن بعض أقسام مصر واعتنى بتاريخها على انفراد. ومنهم من افرد بتاريخ بعض دول مصر دون البعض الآخر. ومنهم من اقتصر على تراجم بعض مشاهير حكام مصر أو علمائها أو أدبائها. ومنهم من وصف بعض وقائعها وحروبها بقطع النظر عن تعاقب السنين. ومنهم من نظر إلى تناسق الحوادث مع نسبتها لتعاقب السنين لكنه أوجز كثيرا فلم يأت بالفائدة المطلوبة. ومنهم من جاء على تاريخ مصر عرضا أثناء تكلمه عن تاريخ الدولة الإسلامية عموما. فكان قوله متفرقا متخللا فضلا عن كونه موجزا.."^(١٦).

وكتابات الإفرنج عن مصر في رأي زيدان هي الأقرب إلى المقصود من قبيل تناسق الحوادث وتعاقبها بتعاقب السنين مع الإسهاب، غير أن للترجمات من العربية إلى لغاتهم تفقد بلاغتها ورونقها العربي، فإذا أريد ترجمتها إلى العربية لا يتفق أن تأتي على أصلها تماما.

ولهذا، يقرر زيدان أنه رأى أن يجمع في منهجه بين حسنات الطرفين : فجمعت بينها ملتزماً صحة النقل وانتقاء أصح الروايات وتطبيق كل ذلك على الأحكام التاريخية مع مراعاة الممكنات وإغفال ما هو مقول بغير قياس ومناقض لأحكام العقل بين مبالغات واختلافات وتقاليد^(١٧).

وطبقاً لمقدمته، يذكر أنه لم يكتف في التاريخ بالسمع والقراءة والكتب والنقل عنها، ولكنه اتخذ منهج "المعاينة"، وبخاصة حين يتحدث عن الآثار المصرية والآثار العربية. كما أنه زود كتابه بالرسوم والخرائط وصور المسكوكات والجداول وفهرس أبجدي، وذلك لكي يربط التاريخ المصري القديم بالتاريخ الحديث، فجاء كتابه في مجلدين، كان نصيب "مصر العثمانية" فيه ٨٣ صفحة.

نحن إذن أمام كاتب يقدم لنا تفاصيل منهجه في كتابة التاريخ^(١٨)، مقررًا أنه عنى في ضبط هذا التاريخ وربط حوادثه جهد الطاقة مغفلاً كثيراً من الروايات التي ترجح له فسادها بعد النظر والتروي متحاشياً الألفاظ المستهجنة والتعابير المعقدة. وفيما بعد يشرح منهجه في مقدمة كتاب "تاريخ التمدن الإسلامي"، فيذكر أنه ينظر في كل ذلك "نظر الناقد فلم نذكر حادثة إلا أسندناها إلى عللها وأسبابها وبيننا ما نتج عنها وذكرنا علاقتها بما بعدها"^(١٩).

ويبدو أن هذا الشرح النظري لمنهجه التاريخي، هو الذي جعل البعض يضعه كأول مؤرخ أدخل المنهج الغربي في كتابة التاريخ^(٢٠).

وقبل الفحص النقدي لمنهج زيدان؛ وتطبيقه على "تاريخ مصر الحديث" ومخطوط "مصر العثمانية"، فإن الإشارة إلى مناهج كتابة التاريخ في مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ذات أهمية كبيرة في تحديد مكانة جرجى زيدان التاريخية.

كان القرن التاسع عشر فترة تحول للتاريخ المصري، فقد كان الجبرتي (١٧٥٤-١٨٢٥م) يقف على مفرق الطرق؛ إذ كان متأثراً بكل التأثير بالتأليف التاريخي والإسلامي، ومن جهة أخرى كان منفعلًا بالأحداث الخطيرة التي شهدتها أثناء الحملة الفرنسية، والتيارات الجديدة الجارية في عصره. وإذا كان الجبرتي قد اختار لتاريخه طريقة الحوليات- وهي التأريخ للسنين سنة بعد أخرى والترجمة للأعلام الذين توفوا فيها- فإن كتابه "عجائب الآثار في التراجم والأخبار" يعد أعظم

تواريخ مصر في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، فهو سجل حافل بألوان الحياة التي كان يحياها المجتمع المصري في هذين للقرنين^(٢١). وأهم من ذلك، فإن العقلية التحليلية الاستجابية فيه قوية، لدرجة تجعله في مرتبة منفصلة عن الأعمال المبكرة^(٢٢).

لقد شهدت مصر في عهد محمد علي (١٨٠٥-١٨٤٨) حركة تعليمية على النمط الغربي، وأرسلت بعثات إلى أوروبا لتلقي العلوم الحديثة، وبدأت حركة للترجمة من الغرب مع إنشاء مطبعة بولاق، وكان من بين ما ترجم عدد كبير من كتب التاريخ الأوربية. وكانت الشخصية الأكثر بروزا في تلك المرحلة - وحتى عصر إسماعيل- هو رفاعة الطهطاوي (١٨٠١-١٨٧٣م)، الذي أتيج له أن يحثك بالغرب عندما ذهب إماما مع البعثة التي أرسلها محمد علي إلى فرنسا في سنة ١٨٢٦م، ليعود بعد ذلك ليتولى مهامما كبيرة في للتعليم والإدارة والترجمة حتى عصر إسماعيل، وليكون كتابه" تخليص الإبريز في تلخيص باريز" هو الأشهر من بين كل كتبه ومترجماته؛ إذ أنه يضم ثروة في التفاصيل وعمقا في التعليق، فقد فحص رفاعة كل مظاهر الحياة الفرنسية: السياسة، وضع المرأة، عادات الأكل، الأثاث، العلوم... وهو كالجبرتي لا يتردد في التعليق شخصا على ما يصادفه. لم يكن رفاعة مؤرخا بطاوع الجبرتي، ولكنه لم يكن يقل عنه في الملاحظة^(٢٣).

ورفاعة هو أول مؤرخ مصري يكتب تاريخ مصر للقديم في ضوء ما وصلت إليه الكشوف الأثرية، وما كتبه المؤرخون الأوربيون في عصره، فقد كانت لحركة للكشوف الأثرية أثرها في تاريخه، فعندما أراد أن يؤلف كتابا عن تاريخ مصر، لم يبدأ بالفتح العربي أو ظهور الإسلام أو بيده الخليفة، كما كان يفعل سابقوه من المؤرخين بل بدأ بتاريخ مصر القديم، وخصص الجزء الأول لعصور الفراعنة والبطالمة والرومان والبيزنطيين، ووقف عند الفتح للعربي، وسماه " أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسماعيل" عام ١٢٨٥هـ. ورغم ما في العنوان من سجع، فإن هذا الجزء كان بداية لمرحلة جديدة من مراحل فهم التاريخ المصري وكان رفاعة هو أول مؤرخ مصري يكتب تاريخ مصر للقديم في ضوء ما وصلت إليه للكشوف الأثرية، وما كتبه المؤرخون الأوربيون في عصره. ويختلف رفاعة في فهمه للتاريخ المصري عن سبقه من المؤرخين المصريين اختلافا واضحا؛ وذلك

لأن معظم هؤلاء المؤرخين كانوا يفهمون هذا التاريخ فهما مجزءاً، فيكتبون عن تاريخ كل خليفة أو ملك على حدة ويؤرخون لكل سنة على حدة، لذلك أثروا طريقة الحوليات في الكتابة التاريخية، أما رفاة فقد فهم للتاريخ المصري فهما جديداً، ونظر إليه نظرة شاملة^(٢٤).

وعلى هذا، فإن ما ذكره زيدان من أنه لم ير بين المؤرخين الذين كتبوا عن تاريخ مصر الحديث من جاء على كتابة مستوفية تتعاقب فيها الحوادث بتعاقب السنين مع علاقة كل ذلك بعموم الدولة الإسلامية وسائر الدول المعاصرة، فيه الكثير من المبالغة؛ فقد تناول رفاة في كتابه عصور الفراعنة والبطالمة والرومان ثم العصر البيزنطي، وختم هذا الجزء بالفتح العربي لمصر، وجعل الفصل الأخير خاصاً بالكلام عن العرب قبل الإسلام وعاداتهم ولغتهم وأسواقهم وآدابهم. ويؤكد تلميذه "صالح مجدي" في ترجمته له أنه كتب قسماً من تاريخ مصر في العصر الإسلامي وصل فيه إلى خلافة المطيع^(٢٥).

الواقع إن القول بأولية جرجى زيدان في انتهاج المنهج الغربي يتداعي أملم ما انتهجه رفاة في الكتابة التاريخية، فرفاعة ينقل عن المراجع القديمة والحديثة، العربية وغير العربية، ولا ينقل عنها دون فهم، بل يخضعها للفحص والنقد، ويقارن ما ينقله عن المراجع الأوروبية بأقوال العرب أو اليونان القدامى، فإذا اتفقت على شئ أخذ به، وإذا اختلفت أخذ بالجديد الذي تؤيده الكشوف الأثرية والكتب التاريخية الحديثة. وكان حريصاً الحرص كله أن يستبعد دائماً ما شاب التاريخ المصري القديم من شوائب الأباطيل والخرافات، مما تمتلئ به كتابات المؤرخين القدماء. وقد شرع رفاة منهجه هذا في مقدمته، فقال إنه تجنب:

" الأقوال غير الموضوعية مما يظهر بعرضه على ميزان العقل أنه من الخرافات، أو مما تولع به الإخباريون والقصاص من اختراع الأباطيل والخزعبلات، أو مما توهمه أرباب الأوهام الفاسدة من العجائب التخيلية التي بدون فائدة، إذ كثير من كتب السير مشحون بخوارق العادات... فلهذا اكتفيت بذكر جوامع الكلم في هذا التاريخ النافع وبيان ما اشتمل عليه فيما يخص أزمان مصر، مما يتعلق بالمدنية والعسكرية من الوقائع، مع الإعراب عن صيغ المباني والعوامل، ورفع أعلام الفتوحات إلى فواعلها، ونصب معالم الهياكل والإنصاح عما سلف من إيداع الفنون

والصنائع، واختراع وسائل عموم المنافع ووسائط المصانع، مع ما يضاف إلى ذلك من ملاحظات اقتضاها الحال، أو من يفاظات تربط ما تأخر بما سبق وارتضاها المقال، حيث أوجبها الكلام لدفع المناغاة بين العبارات السابقة واللاحقة أو للجمع بين الأقوال المختلفة لتصحيح التوفيق بينها والمصادقة، ف جاء هذا للتاريخ بالنسبة لما سواه بشفاء الغليل، لما احتوى عليه من اقتران المعلول بالدليل^(٢٦).

وحتى يمكن الحكم على المنهج الذي شرحه، أو التزمه زيدان في كتابته التاريخية، فإننا سنعرض الوقائع والأحكام كما وردت في تاريخه على ميزان الدقة والضبط. ولعل أول ما يهمننا في ذلك مصارده وطريقته في الاقتباس منها.

لم يذكر المؤلف من المصادر التي استقى منها مادة مخطوطه مصر العثمانية، سوى مصدرين، وردا في ثنايا المتن، وهما: ابن اياس وابن أبي السرور البكري. وقد جاء ذكر ابن اياس مرة واحدة، وذلك عندما نقل عنه الفقرات التي أوضح فيها " كيف كانت مصر لما جاءها السلطان سليم". أما غير ذلك من الاقتباسات من ابن اياس- وهي كثيرة- فلم يذكرها صراحة^(٢٧).

أما ابن أبي السرور البكري، فيرد ذكره في موضعين في المتن يذكرهما زيدان بقوله: " قال ابن أبي السرور راوي هذه الحكاية ... " و قد "روي ابن أبي السرور وهو من المعاصرين...". أما المصدر الأجنبي الوحيد الذي أورد ذكره، فهو رحلة " فولني" إلى مصر أواخر القرن الثامن عشر.

وبالرجوع إلى " تاريخ مصر الحديث" أورد المؤلف قائمة مصادر تقرب من الأربعين مؤلفا، كان منها: " خطط" المقرئزي و" ديوان العبر" لابن خلدون، و" أخبار الأول" للإسحاقى، و" للنجوم الزاهرة" لابن تغري بردي، و" فتوح مصر" لابن عبد الحكم، و" عجائب الآثار" للجبرتي، و" ذخيرة الأعلام" للغمري، و" خطط مصر" لعلي مبارك، و" مصر للمصريين لسليم خليل للنقاش. أما المراجع الأجنبية، فمنها " تاريخ مصر الحديث" بالفرنسية لمارسيل، و" تاريخ الممالئك إلى وفاة محمد علي" بالإنجليزية لبنتون، ودائرة المعارف البريطانية، وغيرها من القواميس الشهيرة^(٢٨).

لم يهتم زيدان بالإسناد في تاريخه^(٢٩)، المطبوع تاريخ مصر الحديث والمخطوط مصر العثمانية، فلم يسند كثير من الوقائع والتواريخ إلى المصادر التي اعتمد عليها، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

لم يذكر مصدره في أن للأتراك جدا يسمى "ترك" ، ومصدره في ذكر سنة ولادة السلطان سليم الأول سنة ٨٥٩هـ، ومصدره في صفات اسكندر باشا الشركسي الذي خلف سنان باشا أثناء حملته على اليمن سنة ٩٧٦هـ (١٥٦٩م)، ومصدره في عدد اللصوص (عشرة آلاف) الذين قتلوا في ولاية حسين باشا. استقى زيدان أغلب تاريخ الفترة العثمانية من " ابن ياس" وابن أبي السرور البكري" و" الجبرتي" ، وقد استخدم أسلوبهم تلخيصا وتحويرا بشكل يدعو إلى الدهشة^(٣٠)، ويتناقض مع أحكامه في اللغة في العصر العثماني، وبشكل يوحى للقارئ أن الأسلوب من إنشائه. ويمكن ملاحظة ذلك من مقارنة نص لابن ياس والجبرتي، بما كتبه المؤلف بأسلوبه.

• يصف " ابن ياس" دخول السلطان سليم القاهرة، فيقول: " وفي يوم الاثنين، ثالث المحرم أوكب السلطان سليم ودخل إلى القاهرة من باب النصر، وشق المدينة في موكب حافل وقدامه جناب كثيرة وعساكر عظيمة ما بين مشاة وركاب حتى ضاقت بهم الشوارع، واستمر شاققا من المدينة حتى دخل باب زويلة، ثم عرج من تحت الربيع وتوجه من هناك إلى بولاق ونزل بالوطاق الذي نصبه تحت الرصيف، فلما شق من المدينة ارتفعت له الأصوات بالدعاء من الناس قاطبة وقيل إن صفته نري اللهو، حليق الذقن، وافر الأنف، واسع العينين، قصير القامة، في ظهره حنيه، وعلى رأسه عمامة صغيرة، ويلبس قفطانا مخملا، وعنده خفة وهرج، كثير التلفت إذا ركب الفرس...^(٣١).

أما زيدان ، فيصف هذا الحدث في مخطوطه بقوله:

• وفي يوم الاثنين، ثالث المحرم سنة ٩٢٣هـ دخل السلطان سليم القاهرة وبين يديه الخليفة المتوكل، والقضاة، وشق المدينة المتزاحمة بين مشاة وفرسان، حتى ضاقت بهم الشوارع. وما زال سائرا في المدينة حتى دخل من باب زويلة. ثم عرج من تحت الربيع، وتوجه من هناك إلى بولاق، ونزل في المعسكر الذي نصبه تحت الرصيف. فلما شق المدينة ارتفعت الأصوات بالدعاء من الناس قاطبة، وقد وصفه أحد المعاصرين الذين شاهدوه في ذلك اليوم^(٣٢)، فقال: أنه دري اللون حليق الذقن وافر الأنف، واسع العينين قصير القامة، وعلى رأسه عمامة صغيرة، وفيه خفة وهرج، كثير التلفت إذا ركب^(٣٣).

• ولقد أورد الجبرتي ترجمة لطى بك الكبير وصف فيها مناقبه فقال كان عظيم الهيبة حتى اتفق لأناس مقوا فرقا من هيئته وكثيرا من كان يأخذه الرعدة بمجرد المثل بين يديه، فيقول له هون عليك، ويلطفه حتى ترجع له نفسه، ثم يخاطبه فيما طلبه بصدهه وكان صحيح الفراسة شديد الحنق يفهم ملخص الدعوى الطويلة بين المتخاصمين، ولا يحتاج في التفهم إلى ترجمان أو من يقرأ له الصكوك والوثائق، بل يقرأها بنفسه كالماء الجاري ولو كان خطها سقيما، ولا يختم ورقة حتى يقرأها ويفهم مضمونها ثم يمضيها أو يمزقها... (٣٤).

وجاء وصف زيدان لهذه المناقب على النحو التالي:

ومن مناقب على بك أنه كان عظيم الهيبة حتى اتفق لأناس أنهم ماتوا خوفا من هيئته، وكانت تأخذ الرعدة بعضهم بمجرد المثل بين يديه، فيأخذ هو بتلطيف رعبه فيقول هو عليك، وكان صحيح الفراسة، شديد الحنق، يفهم ملخص الدعوى الطويلة بين المتخاصمين، ولا يحتاج في التفهم إلى ترجمان أو من يقرأ له الصكوك والوثائق، بل يقرأها هو بنفسه ولا يختم ورقة حتى يقرأ ويفهم فحواها (٣٥).

وفيما يتعلق بدقة الضبط والتفسير في كتابة زيدان التاريخية، فإنه من السهل ملاحظة مزجه القصص القديم والأساطير بالتاريخ، بمثال ذلك: رواية زيدان لقصة حب عثمان مؤسس الدولة العثمانية لابنة الشيخ "أبالي" التي تدعى "مال خاتون"، والحلم الذي رآه وفسر على أنه بشرى بفتح القسطنطينية. فهذه الرواية مستقاة من الحوليات العثمانية القديمة، ولكن زيدان جعل ذلك الحلم أساس تطلع خلفاء عثمان لفتح القسطنطينية، منجاهلا البشارة النبوية بفتحها.

وغير ذلك من القصص والحكايات يعكس على تاريخه، ومن ذلك استطراده في ذكر القصص والحكايات في مشيخة إسماعيل بك بن قاسم عيواض (١١٢٣-١١٣٦هـ)، ومشيخة عثمان بك (١١٤٣-١١٥٦هـ).

وعدم تحري الدقة والضبط في الحقائق التاريخية لدى زيدان، تتضح في كثير من الوقائع في تاريخه المطبوع تاريخ مصر الحديث والمخطوط مصر العثمانية، ولهذا فسوف نكتفي بهذه الأمثلة:

• ذكر أن لوالى سليمان باشا للخادم تسلم سنة ١٥٢٥م قيادة حملة أعدت لمحاربة الفرس والهند، ولم تكن الحملة إلا لليمن ومحاربة البرتغاليين (٣٦).

- وفي ولاية محمد باشا الصوفي، ذكر أن الصدر الأعظم أرسل سنة ١٠٢٢هـ — ١٦٢٣م) حملة من عشرة آلاف جندي إلى اليمن عن طريق مصر، وذلك لإخماد ثورة شعبية فيها، وأمر الباشا بدفع النقود اللازمة لها.
- ومراجعة المصادر التاريخية تظهر بوضوح أنها لم تكن حملة عسكرية، وإنما كانوا مائة من جند الحرس السلطاني مع أتباعهم، وقع منهم طغيان فاحش وفساد كبير، فجهزهم الصدر الأعظم إلى مصر، ثم أرسل خطا شريفا بنفيهم إلى اليمن، فثار الجند عندما علموا بذلك وأظهروا العصيان في مصر، ولكنهم أُجبروا على الرحيل^(٣٧).
- وفي عرضه للصراع بين حزب القاسمية والفقارية، نسب المماليك القاسمية إلى قاسم عيواظ الدفتردار"، والمماليك الفقارية إلى "ذي الفقاريك الكبير" سنة ١٠٥٠هـ. ولقد خلط المؤلف بين اسم "قاسم بك الدفتر دار" واسم "قاسم بك عيواظ"، فالأول ذكره الجبرتي سنة ١٠٥٠هـ، أما "قاسم عيواظ" فهو الذي قتل إبان ثورة إفرنج أحمد سنة ١٧١١م؛ وكان أميرا للحج^(٣٨).
- وفي سرده لتفاصيل مقتل إسماعيل بك بن يواظ" شيخ البلد" في لديوان سنة ١١٣٦هـ (١٧٢٣م)، ذكر أن كل من كان في الديوان من رجال إسماعيل بك قد قتل. ولو تأملنا رواية أحمد شلبي عبد الغني - وكان شاهدا عيانا - نجد أن الذي قتل فقط هو " إسماعيل بك جرجا"، لأنه حاول للحاق بالقاتل^(٣٩).
- وسوف يطول بنا المقام لو عرضنا لكثير من الأمثلة التي تظهر بوضوح عدم الدقة والضبط في كتابة زيدان التاريخية^(٤٠)، ولهذا فإننا نشير إلى رأي أحد كتاب الغرب في منهجه، حيث يذكر أنه لم يكن عميق التفكير أو ناقدا، وقد لاحظ أن المرة الوحيدة التي مارس فيها زيدان التحليل التاريخي، كانت تلك التي أكد فيها أن محمد على قد اندفع إلى الحرب برغبة في مد ملكه وتأسيس دولة مستقلة^(٤١).
- ومن المرات التي مارس فيها زيدان التحليل التاريخي في مخطوطه هذا مصر العثمانية، تلك التي ذكر فيها أن العصر العثماني في مصر هو أحط عصور التمدن الإسلامي، وسنده في ذلك أن الآداب العربية على الإجمال قل فيها المستنبت، وأن الإنشاء صار أقرب إلى لغة العامة، وندر نبوغ العلماء المفكرين^(٤٢).

ولدى زيدان استعداد يبرز في تفسيره للتاريخ المصري على أساس قومي، ومثال ذلك قوله عن المماليك: " ليس لأحد منهم عائلة أو أسرة يغار على وطنه من أجلها إلا نادرا"، مع أن دور المماليك في الدفاع عن مصر في مواقع كثيرة معروف في التاريخ. وكذلك في دفاعه عن علي بك الكبير ووصفه محمد بك أبو الذهب بلقب الخائن.

وإذا كان التنظيم " الحولي" للمخطوط بارزا بشكل كبير^(٤٣)، فإن إضافة الكاتب بعض للفصول إلى تاريخ مصر العثمانية، قد أعطت للمخطوط بعدا موسعا، ولم تجعله يقتصر على التاريخ السياسي، فاشتمل على التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والحضاري، فتحدث عن العلوم الإسلامية في مصر العثمانية وعن الشعراء والأدباء والحياة الاجتماعية والاقتصادية والمسوكات؛ وهي نقاط خفيت عن الباحثين أولم يهتموا بها في ذلك الوقت.

ورغم أن زيدان امتاز في تقسيمه لتاريخ مصر العثمانية وربط بين التاريخ العثماني حسب سلاطينه، ثم العهد العثماني المصري حسب ولاته، فإنه تطرق إلى أمور كانت استطرادا، مثل حديثه عن نظام الخلافة والسلطنة في الإسلام، وقتل الإخوة في الدولة العثمانية، ونظام الإنكشارية.

وإذا كان " تاريخ مصر الحديث" في رأي " جونيور" كان مناسباً للاستعمال في نظام المدارس المصرية^(٤٤)، وأنه يمتاز بتخطيط جذاب^(٤٥)، فإن مخطوط " مصر للعثمانية" كان سيتاح له الفرصة للتدريس في الجامعة المصرية، عندما اختير مؤلفه أستاذا لمادة تاريخ الأمم الإسلامية سنة ١٩١١م، لولا المعارضة الإسلامية القوية^(٤٦)، التي نجحت في أبعاده، وتعيين الشيخ محمد الخضري بدلا منه^(٤٧).

وإذا كان " تاريخ مصر الحديث" قليل الأهمية في مادته وتوثيقه، ولا يعول عليه في البحث التاريخي^(٤٨)، فإن الأهمية التاريخية لمخطوط " مصر العثمانية" تتحصر في كونه مكتوبا بخط المؤلف وأعد ليلقي كمحاضرات في الجامعة المصرية، فلقى تعيين المؤلف معارضة شديدة، وكان السبب عقابيا.

والكتاب للمخطوط الوحيد لجورجي زيدان الذي لم ينشر حتى الآن، هو الذي بين أيدينا الآن وهو " تاريخ مصر العثمانية"، والذي قمنا بنشره وتحقيقه وتقديمه للقراء.

وهو يشمل تاريخ مصر العثمانية إلى الحملة الفرنسية، أعده جرجى زيدان ليكون محاضرات تلقى في الجامعة المصرية.
ولا يوجد من هذا المخطوط إلا النسخة الوحيدة بخط جرجى زيدان نفسه وصورتها للفوتوغرافية مودعة في مكتبة جامعة القاهرة.^(٤٩)

كتاب تاريخ مصر العثمانية

وقد ألفه جرجى زيدان عام ١٩١١م لدروس التاريخ الإسلامى فى الجامعة المصرية" ويتعبيره هو فى صفحة غلاف المخطوط، وهذا هو هدفه المعن، لتأليفه هذا الكتاب وقد قسمه كالآتى:

مقدمات تمهيدية، كتبها على فصول ذكر فيها مكانة التاريخ الإسلامى بالنظر إلى سائر التواريخ وحل فيها معنى لفظ تاريخ ثم أقسام التاريخ العام فأقسام التاريخ الإسلامى ومزايها هذا التاريخ، وكعادته من الاهتمام بالجانب الحضارى تحدث عن تحضر الأتراك فالمغول فالبربر فالزنوج، فتاريخ مصر بالنظر إلى سواء وأقسامه.

موضوع هذا الكتاب، وما كانت عليه مصر عند الفتح العثمانى، وبالتالي كان لابد، يذكر أصل السلاطين المماليك ودولة المماليك الأولى أو الأتراك البحرية، واختص الملك الظاهر بيبرس بدراسة ثم دولة المماليك الثانية (الجراكسة).

وذكر العلاقات العثمانية المصرية أو-بمعنى أصح العثمانية المملوكية، وأفسح مجالات فى هذه المقدمات التمهيدية لأصل ونشأة الدولة العثمانية باعتبار أن موضوع للكتاب تاريخ مصر فى ارتباطها بهذه الدولة ثم ذكر الانكشارية أصلاً وتاريخاً لارتباط وضع تاريخ مصر العثمانية فى بعض جوانبهم، ثم درس سليم الأول باعتباره السلطان العثمانى الذى فتح مصر وفى أثناء دراسته لهذا كان لابد أن يقوم أيضاً بدراسة عن سلطنة الأشرف طومان باي آخر السلاطين المماليك.

بعد ذلك تنبه جرجى زيدان إلى تاريخ مصر العثمانية قسمه تقسيماً خاصاً، وكان على أدوار أربعة وكل دور له جانبان السياسى والحضارى.

يمتاز جرجى زيدان فى تقسيمه لتاريخ مصر العثمانية، أيضا فى ربطه بين استانبول والقاهرة يعنى العهد العثماني العام حسب سلاطينه ثم العهد العثماني فى مصر، وهو خاص، حسب ولاته.

وتطرق جرجى زيدان إلى أمور رآها ضرورية ورأيها استطرادا مثل حديثه عن نظام الخلافة والسلطنة فى الإسلام وقتل الإخوة فى الدولة العثمانية، مما يسر له للتعبير عن كثير من أفكاره فى تاريخ مصر.

على كل حال قسم جرجى زيدان أنوار تاريخ مصر العثمانية كالاتى:
الدور الأول من سلطنة السلطان سليم الأول وأنهاه بحكم السلطان مصطفى ابن محمد. وبالتالي أحوال مصر فى هذا العهد من خلال الولاة العثمانيين فيها. واهتم فى ذلك بدراسة المسكوكات والأوضاع الاجتماعية والصحية والاقتصادية وعرج إلى العلم والأدب فى عصر الدور الأول من الحكم العثماني فى مصر ذلكرا للمؤرخين والشعراء والأدباء والمحدثين والفقهاء وعلماء المذاهب الأربعة والمتصوفة وسائر العلماء بمؤلفاتهم.

والدور الثانى من العصر العثماني وهو " انتقال النفوذ فى مصر إلى المماليك" بدأه بسلطنة السلطان العثماني أحمد بن محمد ومنتهاها بسلطنة السلطان مصطفى بن محمد، ذكرا فى هذا، العلاقة بين قاسم بك ونو الفقار بك فى مصر ثم مشيخة إسماعيل بك ونو الفقار بك وعثمان بك وإبراهيم لكخيا ورضوان بك وعلى بك الكبير.

والدور الثالث من العصر العثماني فى مصر، ركز جرجى زيدان للحديث فيه على: على بك الكبير وتطور تاريخه فى مصر وعلاقته بالروس وبظاهر العمر وبمحمد بك أبى الذهب.

والدور الرابع من العصر العثماني فى مصر بدأه المؤلف بسلطنة السلطان العثماني عبد الحميد الأول فى استانبول ومشيخة إسماعيل بك وإبراهيم بك ومراد بك فى مصر مع الحملة العثمانية التي جاءت بقيادة القبطان حسن باشا لحرب المماليك. وانتهى هذا الدور سياسيا بسلطنة السلطان سليم الثالث وأجل جرجى زيدان الحديث عن المظاهر الحضارية من علم وأدب واجتماع واقتصاد ومالية وتعليم إلى آخر كتابه ضلما هذه الظواهر الحضارية فى الأودار الثلاثة، معا.

الحدود الزمنية للكتاب

نكر جرجي زيدان في بداية مخطوطه، عنوان هذه المخطوطة على عنوانين: الأول هو مصر العثمانية والآخر تاريخ مصر في عهد الدولة العثمانية، ومن المفيد هنا ذكر عنوان المخطوط بالكامل: مصر العثمانية أو تاريخ مصر في عهد الدولة العثمانية من الفتح العثماني سنة ٩٢٣هـ — أو ١٥١٧م إلى الحملة الفرنسية ١٢١٣هـ أو ١٧٩٨م.

وهذه هي الحدود الزمنية للكتاب، ولا يخفي أن التاريخ العثماني في مصر قد امتد رسمياً أكثر من هذا، امتد حتى عام ١٩١٤ وهو تاريخ إعلان الحماية البريطانية على مصر وابتعادها رسمياً عن النفوذ العثماني.

بعض نقد الكتاب

أولاً: الإيجابيات:

سد جرجي زيدان فجوة في كتابته لتاريخ مصر، بخطه هذا الكتاب. فقد تناول التاريخ تناولاً شاملاً يدخل في أدبيات التاريخ. إنه الدراسة الواسعة لمفهوم كلمة التاريخ، فلم يقتصر على التاريخ السياسي كدأب بعض كتاب عصره وإنما اشتملت دراسته على التاريخ السياسي والتاريخ الاجتماعي والتاريخ الاقتصادي والتاريخ المالي والتاريخ الحضاري. إن هذه الميزة لجرجي زيدان لا نمتدحها فيه اليوم فقط فقد سبقنا إلى ذلك الكتاب التركي الذائع الصيت المعلم جودت في كتابه ذيل على ابن بطوطة. وكذلك سليمان أولوضاغ في مقدمته لكتاب تاريخ الإسلام لمحمود أسعد استانبول ١٩٨١م. (٥٠)

لقد سد زيدان فراغاً في الكتابة التاريخية عن مصر عامة وعن العهد العثماني خاصة، لقد كتب هذا الكتاب الذي بين أيدينا الآن عام ١٩١١م.

وهو رغم قدمه نسبياً وهو ما يدخل في مسمى التراث للمعاصر. يتميز بشمولية واضحة ويتفوق على الكتب المؤلفة أو المحققة حديثاً عن مصر العثمانية في ذلك، فهو يتحدث عن العلوم الإسلامية في مصر العثمانية وعن للشعراء والأدباء

وعن الحياة الاقتصادية والاجتماعية وما إلى ذلك وهو نقاط خفيت عن الباحثين المحدثين أو لم يهتموا بها.

ثانيا- الملاحظات:

جرجى زيدان جامع معلومات، وصاحب منهج حضارى لكتابة التاريخ، إلا أنه أحيانا لا يندقق في محاكمة الواقع، مثال ذلك عندما يتحدث عن حسين باشا بقول إنه كان يطوف للقاهرة ويقتل رجلا أو اثنين يوميا.

كما أن لدى جرجى زيدان استعدادا يبرز دائما في تفسيره للتاريخ المصوى على أساس قومي مثل قوله عن المماليك: " ليس لأحد منهم عائلة أو أسرة بفخر على وطنه من أجلها إلا نادرا. مع أن دور المماليك في الدفاع عن مصر في مواقع كثيرة ماثلة أمام العيان.

ويمزج زيدان في الكتابة التاريخية، للقصص القديم والأساطير بالتاريخ مثال ذلك: حديث زيدان عن قصة حب عثمان مؤسس الدولة العثمانية لابنة للشيخ "الديبالي"!! وهناك بعض الأخطاء النحوية في المخطوطة، وإن كانت هذه لا تدخل في نطاق ما نحن بصدده الآن.

وهناك أيضا بعض التحريفات لبعض الأسماء العثمانية أمثلة على ذلك:

با يازيد- قنسو- كافا.... وغيرها وصحتها بيازيد - قانصو- كفه.

وغنى عن البيان هنا أنه استفاد بعض الشيء من كتابه " تاريخ مصر الحديث" عندما أخذ يخط كتابه الذي تقدمه اليوم، ويمكن حصر استفادته في مخطوطة هذا ، من كتابه تاريخ مصر الحديث في مسألة امتيازات السلطان للمماليك، وحادثة قتل والي مصر وتعليق رأسه على باب زويلة عام ٩٣١هـ، وتولية لسكندر باشا ٩٦٨هـ و وفاة الأمير يراهيم للفرندار عام ٩٧٤هـ. وقائمة المماليك للثمانية عشو في عهد على بك، وهذا لا يندقق في جرجى زيدان على اعتبار أن سمة التأليف لم تكن تمنع من هذا ومازالت ولم تمنع تفرد مخطوطة هذا في مضمار تاريخ مصر الحضاري في العهد العثماني.

وسنورد هنا مشكلة أساس تأليف كتاب مصر العثمانية، بإيراد رؤية جرجى

زيدان فيها.

نص مقال جرجى زيدان

(نحن والجامعة المصرية والتاريخ الإسلامى)

أفاضت الجرائد في ذكر الجامعة المصرية وصاحب الهلال على أثر عدولها عن تعيينه أستاذا للتاريخ الإسلامى فيها. واختلفت الأقوال والآراء في هذا الشأن فرأينا أن نقول كلمة تقريرا للحقيقة ودفعا للالتباس وإجابة على الأسئلة التي أتناها بهذا الشأن.

لا خلاف في أننا أول من دعا إلى إنشاء الجامعة المصرية بمقالات نشرناها في أماكن كثيرة من الهلال منذ بضع عشرة سنة. فنحن أكثر غيرة عليها وأشدهم رغبة في نجاحها. فلما أنشئت فرحنا بذلك ونظرنا في أمرها بعين الاهتمام ورأينا في بروغرامها نقصا فانتقدنا خطة التدريس وقلة العلوم المقررة فيه فاهتم مجلس إدارتها بملاحظاتنا وقرر إضافة كثير من العلوم التي ذكرنا حاجة البلاد إليها وأرسل نخبة من الشباب الأذكى لتلقي تلك العلوم في أوروبا ليعودوا ويعلموها هنا. فسرنا أن يكون ولاية أمر هذا المعهد العلمي منزهين عن كل عرقية غير خدمة الأمة المصرية.

ونحن في ذلك فاجأتنا الجامعة بكتاب مؤرخ في ١٦ يونيو سنة ١٩١٠م تطلب

إلينا فيه تدريس تاريخ الأمم الإسلامى فيها هذا نصه:

من الجامعة المصرية في ١٦ يونيو سنة ١٩١٠ مرة ٣٠٢

" حضرة المحترم جرجى أفندي زيدان

" أتشرف بإحاطة حضرتكم علما أن مجلس إدارة الجامعة المصرية قرر

إنشاء كلية آداب تبتدى الدراسة بها في العام القادم وأن يكون من جملة العلوم التي تدرس فيها تاريخ الأمم الإسلامى وخصوصا مصر الإسلامى. وقرر منح الأستاذ الذي يسند إليه تدريس هذا العلم راتبا قدره ٢٠٠ جنيه مصري على أن يلقى فيه أربعين درسا على الأقل في مدة السنة الدراسية التي تبتدى في شهر نوفمبر وتنتهي في ١٥ مايو.

" وحيث إننا نرى أن حضرتكم خير كفاء لتدريس هذه المادة لما نعهد فيكم

من سعة الاطلاع والدراية التامة نود لو كنتم تقبلون القيام بهذه الأمورى لما فيها من المنفعة العامة لخدمة العلم وفائدة أبناء هذا الوطن. فأرجوكم إفادتنا عما إذا كنتم تقبلونها بالشروط المذكورة وتفضلوا بقبول فائق احترامنا.

رئيس الجامعة المصرية بالنيابة

إبراهيم نجيب محافظ مصر

وصلنا هذا الكتاب ونحن غارقون في أشغالنا وهي على معظمها في ذلك الشهر (يونيو) والذي يليه لأننا ننشط فيهما بإصدار ملحق الهلال كل سنة. وكنا أكثر شغلا في هذه السنة عما في سواها لأن موضوع الملحق الذي علينا إصداره (تاريخ أداب اللغة العربية) من المواضيع التي تغتفر إلى بحث وتتقيب. فلما جامنا كتاب الجامعة وقمنا في حيرة وكان أول خاطر بدا لنا، أن نعتذر بكثرة أشغالنا. لكننا أعدنا النظر في ذلك الذي وقفنا له حياتنا وقولنا. فترددنا لحظة خطر لنا في أخذها ما قد يعتبر يقينا من القيل والقال لاختيارنا لهذا المنصب مع وجود من يقوم به من المسلمين وإن دلنا التاريخ على خلاف ذلك. فإن للخلفاء في صدر الدولة العباسية لم يستكفوا من أن يستخدموا في نقل العلم تراجمة من غير المسلمين وفيهم النصراني واليهودي والسامري والمجوسي والصابئي. وكذلك كان يفعل للمسيحيون حتى في علوم الدين نفسه. فإن أبا الفتح كمال الدين موسى ابن أبي الفضل الفقيه الشافعي أحد أعلام المسلمين في القرن السادس للهجرة كان متضلعا بالعلوم الدينية المسيحية واليهودية. وكان أهل اللزمة من المسيحيين واليهود يقرأون عليه التوراة والإنجيل ولا يرون في ذلك غرابية . وقد شرح لهما ذلك الكتابين شرحا اعترفوا أنهم لم يجدوا من أوضحهما مثله.

لكننا علمنا من قرأتين كثيرة أن حالنا غير حالهم. فرأينا أن نعرض هذه الملاحظة على ولاة أمر الجامعة فيكون لنا بذلك عذر على الاقتناع فنتفرغ لعماننا. وقد فعلنا فأجابونا أنهم لا يرون بأسا في أن يكون أستاذ هذا التاريخ مسيحيا ولا يظنون ذلك بسوء أحدا لأن المطلوب تعليم تاريخ الأمم الإسلامية لا الدين الإسلامي وصاحب الهلال معروف باعتداله وإنصافه ولا حاجة طبعا إلى الخوض في المسائل الدينية.

فلم يعد يمكننا الامتناع ولو امتنعنا لحسب ذلك علينا - لأننا نزع أننا نخدم الوطن واللغة وننتقد الجامعة ونطلب زيادة دروسها ثم يطلب منا أن نخمها بدرس هو من خصائصنا ونأبى! فقبلنا على أن نتحاشى الخوض في غير التاريخ السياسي، وكتبنا إلى مجلس إدارة الجامعة ما يأتي:

" من إدارة الهلال في ١٨ يونيو سنة ١٩١٠

" سيدي المفضل سعادة إبراهيم باشا نجيب رئيس الجامعة المصرية بالنيابة
" تشرفت بكتاب سعادتكم المؤرخ في ١٦ يونيو الجاري الذي تخبرونني فيه أن
مجلس إدارة الجامعة قد اختار هذا العاجز لتدريس تاريخ الأمم الإسلامية وخصوصا
مصر الإسلامية في كلية الآداب التي أنشأتوها في الجامعة المذكورة وسألتوني إذا
كنت أقبل القيام بهذه المهمة على الشروط المذكورة في الكتاب المشار إليه. فأنتى
على فضلكم لأنكم ظننتم بي الكفاءة للقيام بهذا العمل الجليل. وبما أن القبول يعد من
قبيل المنفعة العامة لخدمة العلم وفائدة أبناء الوطن كما ذكرتم فأني أقبل اقتراح
سعادتكم بكل سرور على الشروط المشار إليها وسأبذل ما في الوسع لأحقق ظنكم
في. واقبلوا فائق الاحترام،

جرجى زيدان

وحالما دفعنا هذا الجواب إلى الجامعة شعرنا بوطأة هذا العمل الشاق. لكننا
على عادتنا في كل عمل نأخذ به، وجهنا اهتمامنا إلى هذا الدرس. فأخذنا في إعداد
الخرائط اللازمة له على أن نرسمها نحن. فساعد ذلك على تأجيل صدور ملحق
الهلال إلى هذا الشتاء. وهي أول مرة أخرناه فيها منذ أنشأنا الهلال ولكننا اغتفرنا
ذلك في سبيل مصلحة الجامعة المصرية.

فأخذنا في عمل الخرائط وهي خمس كبيرة تعلق بالحائط: الأولى خريطة
جزيرة العرب قبل الإسلام. والثانية خريطة الحجاز وتهامة في أثناء الغزوات.
والثالثة خريطة صد ١٧٩ العراق والأهواز وضواحي بغداد وسامرا في أوائل الدولة
العباسية. والرابعة خريطة المملكة الإسلامية في القرن الثالث للهجرة. والخامسة
خريطة مكة المشرفة وما يحيط بها.

اشتغلنا في إعداد هذه الخرائط في الصيف الماضي على يد مصلحة المساحة
بالقاهرة ولم تفرغ منها إلا في منتصف نوفمبر. وهي الآن في إدارة الجامعة. ولما
رجعنا من لبنان في سبتمبر الماضي جاعنا كتاب من الجامعة طلب إلينا فيه وضع
بروغرام للدروس. فوضعناه مفصلا في عدة صفحات وأخذنا في تحضير المواد
اللازمة لها. فاضطررنا إلى تأجيل ملحق الهلال للمرة الثانية لأننا لم نكن قد نكرنا

خبر تعييننا في الجامعة تحاشيا من تفریط نفسنا ولأن هذا السبب لا يهم للقراء. وإنما ذكرناه الآن لتقرير الحقيقة كما تقدم.

وتناقلت الصحف العربية خبر تعييننا لهذا المنصب فاتخذته الناس دليلا حسنا على التساهل الديني. ثم نشرت الجامعة بروغرام للتدريس في الصحف وأخذنا نحن في كتابة المحاضرات. وترى خلاصة المحاضرة الأولى منشورة في هذا الهلال. ونحن في ذلك قرأنا في المؤيد أن مجلس إدارة الجامعة تناقش في هل يجوز أن يتولى تدريس التاريخ الإسلامي أستاذ مسيحي وأن الأكثرية قررت أنه لا يليق أن يتولى تدريسه إلا أستاذ مسلم يبذل من صاحب الهلال فاستغربنا للخبر لأنه لم يصلنا من مصدره.

وفي اليوم التالي جاعنا وفد من مجلس إدارة الجامعة بسط لنا الحقيقة وهي ما قرأناه وأن الجامعة عمدت إلى تعديل قرارها الأول مراعاة لعواطف الأمة. فلم نجد في ذلك غرابة لأننا نبهنا إليه منذ خمسة أشهر. ولكننا تأسفنا لشروع ذلك الخبر على صفحات الجرائد قبل مخابراتنا فأدى إلى انتقاد أفاضل يبذلون أقصى جهدهم في خدمة هذه الأمة. ولو شعرنا بأقل خلاف جرى في الجامعة بشأن تعييننا لكفيناها مؤونة المناقشة على أهون سبيل وخففنا عنا عناء اللوم. وفي كل حال فإننا تلقينا عندها بالقبول ووافقناها تعيين من نشاء. ورجعنا إلى عملنا، وضميرنا في راحة وطمانينة. ونشعر أننا قمنا بما علينا، وندعو للجامعة المصرية بالنجاح والسداد، لأن بنجاحها سعادة الأمة المصرية وحياء للغة العربية.

هذا ويعجز القلم عن أداء واجب الشكر لزملائنا أصحاب الصحف العربية والأمريكية وغيرهم من أرباب الأقلام الذين خاضوا عباب هذه المسألة على اختلاف آرائهم وأحكامهم فيها فإنهم قد أحسنوا إلينا بإحسانهم اللظن فينا فوق ما نستحق جزاء الله خيرا. (٥١) مجلة الهلال: ج ٣، السنة ١٩ أول ديسمبر ١٩١٠م- ٢٩ ذو القعدة ١٣٢٨هـ.

مؤلفات جرجى زيدان مرتبة تاريخيا

١- الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية (١٨٨٦م).

- ٢- تاريخ مصر الحديث من الفتح الإسلامي إلى الآن مع فئلكة في تاريخ مصر القديم، ج٢ (١٨٩٩م)
- ٣- تاريخ الماسونية العام (١٨٨٩م)
- ٤- التاريخ العام منذ الخليقة إلى هذه الأيام -ج١ (١٨٩٠م)
- ٥- مختصر جغرافية مصر (١٨٩١م)
- ٦- المملوك الشارد- رولية (١٨٩١م)
- ٧- رد رنان على نبش للهنديان (١٨٩٣م)
- ٨- استبداد المماليك - رولية (١٨٩٣م)
- ٩- جهاد المحبين - رولية (١٨٩٣م)
- ١٠- أسير المتمهدي- رولية (١٨٩٣م)
- ١١- أرماتوسة المصرية - رولية (١٨٩٥م)
- ١٢- خلاصة تاريخ اليونان والرومان (١٨٩٧م)
- ١٣- عنراء قريش - رولية (١٨٩٨م)
- ١٤- تاريخ انجلترا منذ نشأتها إلى هذه الأيام (١٨٩٩م)
- ١٥- فتاة غسان - رولية (١٨٩٩م)
- ١٦- ١٧ رمضان - رولية (١٨٩٩م)
- ١٧- علم الفراسة الحديث (١٩٠١م)
- ١٨- غادة كربلاء - رولية (١٩٠١م)
- ١٩- تاريخ التمدن الإسلامي - مج ١ (١٩٠٢م)
- ٢٠- الحجاج بن يوسف - رولية (١٩٠٢م)
- ٢١- تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج١ (١٩٠٢م)
- ٢٢- تاريخ التمدن الإسلامي - مج ٢ (١٩٠٣م)
- ٢٣- تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ج٢ (١٩٠٣م)
- ٢٤- تاريخ التمدن الإسلامي- مج ٣ (١٩٠٤م)
- ٢٥- تاريخ اللغة العربية باعتبار أنها كائن حي تام خاضع لناموس الارتقاء (١٩٠٤م)
- ٢٦- فتح الأندلس - رولية (١٩٠٤م)

- ٢٧- شارل وعبد الرحمن - رولية (١٩٠٤)
- ٢٨- تاريخ القمدين الإسلامى - مج ٤ (١٩٠٥م)
- ٢٩- أبو مسلم الخراسانى - رولية (١٩٠٥م)
- ٣٠- تاريخ القمدين الإسلامى - مج ٥ (١٩٠٦م)
- ٣١- أنساب العرب القنماء (١٩٠٦م)
- ٣٢- العباسة أخت للرشيد - رولية (١٩٠٦م)
- ٣٣- الأمين والمأمون - رولية (١٩٠٧م)
- ٣٤- محمد على - رولية (١٩٠٧م)
- ٣٥- العرب قبل الإسلام - ج ١ (١٩٠٨م)
- ٣٦- عروس فرغانة - رولية (١٩٠٨م)
- ٣٧- عبد الرحمن للناصر - رولية (١٩٠٩م)
- ٣٨- أحمد بن طولون - رولية (١٩٠٩م)
- ٣٩- تاريخ آداب اللغة العربية - ج ١ (١٩١١م)
- ٤٠- الانقلاب العثمانى - رولية (١٩١١)
- ٤١- مصر العثمانية ؛ أو تاريخ مصر فى عهد للدولة العثمانية من الفتح العثمانى سنة ٩٢٣هـ - ١٥١٧م إلى الحملة الفرنسية ١٢١٣هـ - ١٧٩٨م
- ٤٢- تاريخ آداب اللغة العربية - ج ٢ (١٩١٢م)
- ٤٣- طبقات الأمم أو السلائل للبشرية (١٩١٢م)
- ٤٤- عجائب الخلق (١٩١٢م)
- ٤٥- فتاة للقيرون - رولية (١٩١٢م)
- ٤٦- تاريخ آداب اللغة العربية - ج ٣ (١٩١٣م)
- ٤٧- صلاح الدين ومكابد الضاشين - رولية (١٩١٣م)
- ٤٨- تاريخ آداب اللغة العربية - ج ٤ (١٩١٤م)
- ٤٩- شجرة الدر - رولية (١٩١٤م).
- ٥٠- البلغة فى أصول اللغة - غير موجود ()
- ٥١- مختارات جرجى زيدان (١٩١٩م)
- ٥٢- رحلة جرجى زيدان إلى أوربا سنة ١٩١٢م (١٩٢٣م)

حواشي المقدمة

- (١) محمد عبد الغنى حسن، جرجى زيدان، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٧٠، ص ٢٠. ويعتبر البعض أن الأستاذ محمد عبد الغنى حسن - رحمه الله - مؤرخ جرجى زيدان.
- (٢) محمد عبد الغنى حسن، المرجع السابق، ص ٢١. ونظير عبود، جرجى زيدان، المجلد ٢١ من مؤلفات جرجى زيدان الكاملة، دار الجيل، بيروت ١٩٨٣، ص ١٧.
- (٣) محمد عبد الغنى حسن، مرجع سابق، ص ٢١.
- (٤) محمد عبد الغنى حسن، مرجع سابق، ص ٢٣.
- (٥) محمد عبد الغنى حسن، مرجع سابق، ص ٢٩، ونظير عبود، مرجع سابق، ص ٢١.
- (٦) محمد عبد الغنى حسن، مرجع سابق، ص ٣٦ وشوقي خليل، جرجى زيدان فى الميزان، وجرجى زيدان، تاريخ مصر الحديث، طبعة بيروت عام ١٩٨٣، ج ٢ ص ٦٩١
- (٧) جرجى زيدان، تاريخ مصر الحديث ج ٢ مرجع سابق ص ٦٦٥ و ٧٠١ و ٧٠٢.
- (٨) محمد عبد الغنى حسن، مرجع سابق، ص ٣٧.
- (٩) المرجع السابق، ص ٢٩
- (١٠) نظير عبود، مرجع سابق، ص ٢٣
- (١١) عبد الغنى حسن ٣٩
- (١٢) عبد الغنى حسن ٤٠
- (١٣) MUHARREM GELEBI, CORCI ZEYDAN, D.V. I.A.C. 12, S, 69-70
ISTANBUL 1995
- (١٤) معلم جودت أينانج ألب، نيل على فصل الأخية الفتيان التركية " فى رحلة ابن بطوطه، استانبول ١٣٥٠هـ - ١٩٧١م، ص ٥.
- (١٥) جورجى زيدان : تاريخ مصر الحديث، الجزء الأول، القاهرة، مطبعة المقتطف، القاهرة، ١٣٠٦هـ - ١٨٨٩م، ص ٤.
- (١٦) المصدر نفسه، ص ٨٥، ٨٦.
- (١٧) جورجى زيدان : تاريخ مصر الحديث، ج ١، ص ٨٦.
- (١٨) ولعله من المهم أن نشير أن سن زيدان فى ذلك الوقت كان ٢٨ سنة، وإذا كان فى كتابه " رد رنان على نبش الهنيدان " - الذى رد فيه على كتاب " نبش الهنيدان من تاريخ جرجى زيدان " للشيخ حسن حلوانى مدني - قد نكر انه درس " تاريخ مصر " وألفه وطبعه فى مدة لا تزيد على سنتين، فإن هذا يعنى أن عمره كان ٢٦ سنة عندما شرع فيه، ولم يسبق له أن عالج للكتابة للتاريخية. جرجى زيدان: رد رنان على نبش الهنيدان، القاهرة، مطبعة التأليف، ١٨٩١م، ص ٨٤٧.
- (١٩) جرجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى، الجزء الأول، القاهرة، مطبعة الهلال، ١٩٠٢م، ص ٦.
- (٢٠) محرم جليبي، مرجع سبق ذكره، ص ٦٩ - ٧٠.

- (٢١) جمال الدين الشوال: التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر، القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٥٨م، ص ١٠-٢٧.
- (٢٢) جاك كرابس جونيور: كتابة التاريخ في مصر في القرن التاسع عشر ترجمة عبد الوهاب بكر سلسلة الألف كتاب لثاني- ١١٨، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، ص ٧٤.
- (٢٣) جاك كرابس جونيور: المرجع السابق، ص ٩٩-١١٤.
- (٢٤) جمال الدين الشوال: المرجع السابق، ص ٧٠-٧٢.
- (٢٥) جمال الدين الشوال: المرجع السابق، ص ٧٦، ٨٣.
- (٢٦) المرجع نفسه، ص ٧٦-٨٧.
- (٢٧) وقد أسندنا في تحقيق المخطوط ما نقله المؤلف لابن ياس.
- (٢٨) جرجى زيدان: تاريخ مصر الحديث، ج ١ ص ٨٧، ٨٨. ويرى جاك كرابس جونيور أن هذه المادة ليست كافية للمشروع الذي كان في ذهن زيدان، وحيث أنه لم يلمح أبدا لمصادره ولم يقدم حواشي لمتونه، فإبنا نبقى متروكين للحيرة حول المراجع التي استخدمها. جاك كرابس جونيور: المرجع السابق، ص ٢٦١.
- (٢٩) يشير جاك جونيور إلى أن كل المؤرخين المصريين بعد الطهطاوي كانوا أكثر استيقاظا فسي للضمير فيما يتعلق بالإشارة إلى مصدر معلوماتهم، وأنه كان ينبغي على زيدان أكثر من أي من سابقيه أن يكون مدركا لالتزمه في الاستشهاد بالمصادر حتى لا يصبح عمله مشكوكا فيه كثيرا. جاك كرابس جونيور: المرجع السابق، ص ٢٥٩.
- (٣٠) ومصدر الدهشة والتعجب أن المؤلف يستخدم أسلوب هولاء للمؤرخين ومفرداتهم في أسلوبه، ويذكر بعد ذلك في نهاية مخطوطه أن الإنشاء في اللغة في العصر العثماني، انحط إلى أقصى درجاته، حتى صار أقرب إلى لغة العامة، ويضرب المثال لذلك بتاريخ "ابن ياس" و "الجبرتي".
- (٣١) ابن ياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، للجزء الخامس تحقيق محمد مصطفى، ط ٣، القاهرة، ١٩٨٤م ص ١٥٠.
- (٣٢) قصد زيدان "ابن ياس"، ولكن "ابن ياس" كما رأينا في نصه لم ينكر، أنه رأي السلطان سليم، وإنما نقل صفاته سماعا.
- (٣٣) فنظر المتن في المخطوط.
- (٣٤) الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الجزء الأول، القاهرة، مطبعة الأنوار المحمدية، ١٩٨٦م، ص ٥٠١.
- (٣٥) فنظر المتن في المخطوط.
- (٣٦) إسماويل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، ج ٢، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٣١٤هـ ص ١٩٥.
- (٣٧) أحمد ثلبي عبد الغني: أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشا، تقديم وتحقيق وضبط وتصحيح عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٨م، ص ١٦٤، ١٦٥.

- (٣٨) الجبرتي: المصدر السابق، ج ١، ص ٣١-٣٤ على بن محمد الشاذلي الفراء: ذكر ما وقع بين -
عسكر مصر المحروسة القاهرة (١١٢٣-١٧١١م)، تحقيق عبد القادر طليمات، المجلة
التاريخية المصرية، مج ١٤، ١٩٦٨م، ص ٣١٩-٤٠١.
- (٣٩) أحمد شلبي عبد الغني: المصدر السابق، ص ٣٨٣-٣٨٦.
- (٤٠) ولعل هذا يفسر لنا النقد العنيف الذي وجهه محمد حسين هيكل إلى زيدان كمؤرخ سنة ١٩١٢،
وذلك في نقده لكتاب تاريخ آداب اللغة العربية: "زيدان كان أحرى الناس- على سعة معارفه
التاريخية- بأن يختط هذه الطريقة ويرمي لهذا الغرض. وأول المطلوب من المؤرخ الذي يرمي
لهذا الغرض أن يتحرى في التاريخ الذي يكتب كل دقيقة وجليلة، وأن يفسر الحوادث بالدقة
والضبط. وقد رأينا أن صاحب تاريخ آداب العرب لم يقم بذلك على الوجه الأكمل". انظر النقد
الذي وجهه هيكل لجرجي زيدان في: محمد حسين هيكل: في أوقات الفراغ، القاهرة،
المطبعة المصرية، د.ت، ص ٢٢١-٢٤٧. وقد حاول محمد عبد الغني حسن- الذي يصف
زيدان بالدقة والضبط والحيطة المطلقة في كتابة للتاريخ- حاول تبرير نقد هيكل العنيف، فذكر
أنه كان متأثراً بالحملات التي شنّها خصوم زيدان، سلسلة أعلام العرب- ٩٠، القاهرة الهيئة
المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠م، ص ٧٥.
- (٤١) جاك كرايس جونيور: المرجع السابق، ص ٢٦١. وقد لاحظ جونيور أن زيدان عاش حياة
حزرة فيما يتعلق بالسياسة، وأحجم عن كل ذكر للسياسة أو رجال الدولة الأحياء في مجلة
الهلال، وقد انعكس ذلك في تاريخه، وضرب مثالا لذلك وصف زيدان للحرب السورية خلال
عهد محمد على بالتفصيل مع تجاهل الأسباب والنتائج والدوافع، وكذلك المرض الذي قدّمه
للاحتلال الإنجليزي لمصر في ختام تاريخه.
- (٤٢) كرر زيدان هذا الحكم كذلك في كتابه: تاريخ آداب اللغة العربية، ج ٣، القاهرة، مطبعة
الهلال، ١٩١٣م، ص ٢٧٢. وقد تصدى لهذا الحكم كاتب من كتاب سيرته، فذكر أن هذا الحكم
لا يكفي على عصر استمر عدة قرون، وكان على زيدان أن يتناول نصوصا من العصر
العثماني ويبين ما فيها من ثقافة، ولكنه لم يفعل، مما يجعل حكمه موضع استنهام، وأيد الكاتب
رأيه بدراسة قدمها محمد سيد كيلاني عن "الأدب المصري في ظل الحكم العثماني"، أظهرت
بوضوح أن في هذا العصر مدارس أدبية. انظر بتفصيل: أحمد حسين الطماوي: جرجي زيدان
سلسلة نقاد الأدب - ١١، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م.
- (٤٣) انظر نموذجا لاستخدام للتواريخ بكثرة في بدايات الفقرات عند ذكر ولاية مصر في زمن
السلطان سليمان القانوني: "وفي سنة ٩٤١..."، "وفي سنة ٩٤٥..."، "وفي سنة
٩٦١..."، "وفي سنة ٩٦٨...". ثم في سنة ٩٧١..."، "وفي شوال سنة ٩٧٣...".
وفي ٣ رجب سنة ٩٧٤...".
- (٤٤) ويبدو أن هذا ما كان يطمح إليه زيدان عند تأليفه، فقد أشار إلى ذلك في فاتحة كتابه بقوله: "لم
أر بين مدارس هذا القطر السعيد من أميرية وغير أميرية مدرسة تعتنى بتكريس هذا التاريخ
الذي هو تاريخ بلادها، لعل السبب في ذلك عدم وجود الكتب الموضوعية على أسلوب مناسب".

- (٤٥) جاك كرابس جونيور: المرجع السابق، ص ٢٦٢.
- (٤٦) عن اختيار زيدان للتدريس في الجامعة المصرية والمعارضة القومية لذلك، انظر مقالته: نحن والجامعة المصرية، مجلة الهلال، الجزء الثالث، السنة ١٩، أول ديسمبر ١٩١٠م - ٢٩ من ذي القعدة ١٣٢٨هـ، ص ١٧٧-١٨١.
- (٤٧) أمين سامي: للتعليم في مصر في سنتي ١٩١٤ و١٩١٥، القاهرة، مطبعة المعارف، ١٣٣٥هـ - ١٩١٧م، القسم الثالث من الملحقات، ص ٥٤-٥٥.
- (٤٨) يؤيد هذا قلة اعتماد الباحثين عليه كمرجع موثق في التاريخ المصري الحديث. وعلى العكس تماما، للمؤرخ السوري سليم خليل النقاش (المتوفى سنة ١٨٨٤م) في موسوعته التاريخية * مصر للمصريين * التي صدرت في ٦ مجلدات (من الرابع إلى التاسع)، فقد كان توثيقه شاملا ومتقنا بصورة كبيرة، مما جعل عمله مرجعا لا غنى عنه للمؤرخ السيلمي وطالب التاريخ الاجتماعي والاقتصادي. انظر: جمال الدين الشبال: المرجع السابق، ص ١٨٢-١٨٤، جاك جونيور: المرجع السابق، ص ٢٥٤-٢٥٧.
- (٤٩) جرجي زيدان، مصر العثمانية أو تاريخ مصر في عهد الدولة العثمانية، مخطوط بخط المؤلف، صورة فوتوغرافية، مكتبة جامعة القاهرة، مخطوط رقم ٧٥، ص ٣٠٠٢.
- (٥٠) معلم جونت (ليناتج ألب) نيل على فصل * الأخية الفتيان للتركية * في رحلة ابن بطوطة، ص ٥، استنبول ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م.
- (٥١) جرجي زيدان، نحن والجامعة المصرية، مصدر سبق ذكره. نفس الصفحات.

...